اللين والتسامح في شخصية عمر بن الخطاب (ﷺ)

م. م. سفيان جايد زيدان
قسم التاريخ، كلية التربية للبنات
جامعة تكريت

اسمه ونسبه:

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد عزى بن رباح بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر.[١]

وأمه حنتمة بنت هشام المخزومية، أخت أبي جهل.[٢]

نشأته الأولى

كانت مساكن بني عدي بن كعب تقع في جبل العاقر، والذي يدعى ألان بجبل عمر نسبة إليه، حيث كان يسكن هناك مع أهله،[٣] وكان عمر (ﷺ) يرعى الإبل لأبيه الخطاب،[٤] الذي كان يقسو عليه لطبيعة حياتهم، الامر الذي جعل عمر (ﷺ) يكون شديد البأس، ذو شكيمة لايرام ما وراء ظهره،[٥] وكان عمر (ﷺ) ممن يجيد القراءة قبل الإسلام،[٦] ويقول الشعر.[٧]

كان جد عمر بن الخطاب (ﷺ) نفيل بن عبد العزى رجلا شريفا تحتكم إليه قريش في خصوماتها،[٨] مما اكسب هذه القبيلة مكانة اجتماعية وسياسية مرموقة، جعلت قريش تعتمد عليها في حل خصوماتها مع غيرها من القبائل، فضلا عن جده الأكبر كعب بن لؤي، حيث كان ذا شأن كبيراً عند قريش، الأمر الذي جعلهم يؤرخون سنة وفاته حتى جاء عام الفيل فأرخوا به،[٩] وهذه الأمور جعلت من عمر بن الخطاب (ﷺ) سفيرا لقريش قبل الإسلام،[١٠]

لين عمر بن الخطاب (ﷺ) قبل الإسلام

عرف عمر بن الخطاب (ﷺ) كما ذكرنا سابقا، بأنه قوي شديد البأس.[١١] ذو شكيمة لايرام ما وراء ظهره.[١٢] وعند ظهور الاسلام كان عمر (ﷺ) من اشد المعارضين لهذه الدعوه. ولقي المسلمون الأوائل منه الشدة والبلاء.[١٣] وعلى الرغم من ذلك قد لاحظ المهاجرون الأوائل تغيرا في موقفه (ﷺ) لأول مرة من الشدة والقسوة الى الرقة ولين لم يروها على عمر من قبل حيث ذكرت أم عبد الله بنت حتمه امرأة عامر بن ربيعة.[١٤] أنهم كانوا يريدون الهجرة الى ارض الحبشة وكان عامر قد ذهب لقضاء بعض حاجاتهم فإذا بعمر (ﷺ) يتقدم عليها وكان على شركة، فقال لها انه الإنطلاق يا أم عبد الله [١٥] فأجابته: بأنه الانطلاق وليخرجوا في ارض الله، وذكرته بما فعلوا بهم من إيذاء وقهر، حتى يجعل الله لهم مخرجا،[١٦] وإذا بعمر (ﷺ) يلين ويرق ويحزن لهجرتهم فيقول. صحبكم الله. فلما عاد عامر أخبرته بما رأت على وجه عمر (ﷺ) من لين وحزن على هجرتهم.[١٧] فإذا بعامر ينظر إلى زوجته فيقول أتطمعين أن يسلم، فأجابته بنعم، فقال: (لايسلم حتى يسلم حمار الخطاب)[١٨] يعني جواب عامر لام عبدالله عن قناعة تامة بان عمر بن الخطاب (ﷺ) لن يدخل الإسلام ابداً، وذلك بسبب شدته على الإسلام والمسلمين، لكن حدث العكس، فاسلم عمر بن الخطاب (ﷺ) بعد هذه الحادثة فصار على الكفار اشد رجال المسلمين

اللين في إسلامه (ﷺ)

اسلم عمر بن الخطاب (ﷺ) في ذي الحجة في السنة السادسة من البعثة، وهو ابن ست وعشرين سنة.[١٩] بعد ان اسلم خمسة واربعين رجلا وعشرين امرأة.[٢٠] وكان رسول الله (ﷺ) قد دعا لعمر بن الخطاب (ﷺ) فقال (ﷺ): ((اللهم اعز الإسلام بأحب الرجلين إليك بعمر بن الخطاب، أو بعمرو بن هشام))[٢١] فكان أحبهما إليه عمر بن الخطاب (ﷺ)[٢٢].

وقد عرف النبي (ﷺ) أهمية إسلام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، فكانت الدعوة الإسلامية الناشئة في تلك الفترة تحتاج إلى رجل قوي شديد البأس لنصرتها والوقوف ضد تحديات قريش.

وفي إسلامه (رضي الله عنه) لين ورقة على الرغم من أن ذلك يبدو عليه الشدة والقوة. فقد خرج ذات يوم وهو متقلد سيفه،فلقيه نعيم بن عبد الله (رضي الله عنه)،[٢٣] فسأله عن الوجه التي يريد، فاخبره بأنه يريد أن يقتل الرسول (ﷺ)، فذكره ماذا يفعل مع بني هاشم وبني زهرة إذا قتله.[٢٤]

وهنا أراد نعيم (رضي الله عنه) أن يبعد خطره عن الرسول وان يكسب الوقت ليبلغ الرسول (ﷺ) بما كان يقدم عليه من إلحاق الأذى برسول الله (عليه الصلاة والسلام). الأمر الذي جعله يخبره بإسلام ختنه وأخته.[٢٥]

ترك عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) نعيم (رضي الله عنه) وذهب إلى ختنه وأخته فوجد عندهم خباب،[٢٦] الذي ما إن سمع بقدوم عمر (رضي الله عنه) حتى اختبأ داخل البيت، فعند دخوله سألهم عن الكلام الذي كانوا يقولونه، وكانوا يقرءون سورة طه، فردوا عليه بأنه ليس سوى حديث تحدثاه،[٢٧] فقال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): (فلعلكما قد صبأتما، فأجاب ختنه: يا عمر إن كان الحق في غير دينك، فوثب عليه عمر فوطئه وطآ شديدا فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها فدفعها بيده فأدمى وجهها، فقالت: وان كان الحق في غير دينك، إني اشهد أن لا اله إلا الله وان محمدا عبده ورسوله).[٢٨] ونرى هنا شدة عمر (رضي الله عنه) الذي كان يريد قتل الرسول (ﷺ)، ليلقاه في الطريق نعيم بن عبد الله، الذي أراد أن يبعد شره عن الرسول (ﷺ) وعن المسلمين فاخبره بإسلام أخته فاطمة بنت الخطاب وزوجها فازداد في شدته لما علم ذلك، فذهب وضرب زوج أخته وأخته حتى سال الدم منها. وعند رؤيته الدم وقد سال من أخته. رق قلبه ولان لها، وكشف عن جوهره وعن فطرته النقية، لما سمعه من قول وإصرار أخته وزوجها.

فقال عمر (رضي الله عنه) أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم، فاقرأه، فإجابته أخته بأنك رجس وانه ((لايمسه إلا المطهرون))[٢٩]، وهنا يذهب عمر (رضي الله عنه) فيغتسل ثم يعود، وتعطيه أخته الصحيفة، ويقرا: بسم الله الرحمن الرحيم ((طه (١) ما أنزلنا عليك القران

لتشقى (٢) إلا تذكرة لمن يخشى(٣) تنزيلا ممن خلق الأرض و السموات العلى(٤) الرحمن على العرش استوى(٥) له مافي السموات وما في الأرض وما بينهما وماتحت الثرى(٦) وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى (٧)الله لا اله إلا هو له الأسماء الحسنى(٨)))[٣٠] فدخل الإيمان قلب عمر (ﷺ) وذهب ليسلم بين يدي رسول الله (ﷺ)[٣١]

لين عمر (ﷺ) في عصر النبوة

عرف عمر بن الخطاب (ﷺ) بشدته على الإسلام والمسلمين قبل أن يدخل الإسلام ولكن بعد أن دخل الإيمان قلبه أصبح شديدا على الكفار، رحيما على المسلمين، حتى قال الرسول (ﷺ) : (اشد أمتي في دين الله عمر)[٣٢].

كان لعمر بن الخطاب (ﷺ) العديد من مواقف الشدة في عصر النبوة، منها موقفه من أسرى بدر، حيث أمر بقتل الأسرى. [٣٤] ولقد كانت أراؤه وأحكامه تتميز بطابع الجرأة والشدة والحزم.[٣٥]

وفي فتح مكة طلب عمر بن الخطاب (ﷺ) من الرسول (ﷺ) أن يقتل حاطب بن أبي بلتعة[٣٦] (ﷺ) الذي أرسل كتابا إلى أهل مكة يخبرهم بقدوم النبي (ﷺ)، فقال عمر (ﷺ) يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق!)[٣٧] فأجابه الرسول (ﷺ): ((وما يدريك لعل الله اطلع على قلوب أهل بدر فقال افعلوا ماشئتم فان الله قد غفر لكم))[٣٨] فتحول عمر بن الخطاب (ﷺ) من رجل غاضب إلى رجل لين ويبكي من الخشية والتأثر، وذلك بسبب قول الرسول (ﷺ) لان حاطب كان احد المشاركين في غزوة بدر.[٣٩]

لم يكن هدف عمر بن الخطاب (ﷺ) من تلك الشدة سوى تطبيق أحكام الله ﷻ وكان يلين ويتراجع أمام قرارات الرسول (عليه الصلاة والسلام).

لين عمر (رضي الله عنه) في خلافة أبي بكر (رضي الله عنه)

يفهم من قول النبي (ﷺ): (ارحم أمتي أبو بكر، وأشدها في دين الله عمر)[٤٠] أن أبا بكر (رضي الله عنه) رجل لين ومتسامح، وان عمر (رضي الله عنه) شديد قوي، لكن في بعض المواقف ترى العكس، فقد قال أبو بكر (رضي الله عنه): (...فرأيتني إذا غضبت على رجل في شيء أراني الرضا عنه وإذا لنت له أراني الشدة عليه) [٤١]

بعد أن تولى الخلافة أبو بكر (رضي الله عنه) كان أول عمل قام به هو بعثة أسامة بن زيد إلى الروم، لكن واجه معارضة من فريق من المسلمين وعلى رأسهم عمر (رضي الله عنه) وكان رأيهم أن يبقى جيش أسامة، فطلب عمر (رضي الله عنه) أن يتولى أمرهم رجلٌ أقدم سنا من أسامة، فوثب أبو بكر (رضي الله عنه) واخذ بلحية عمر (رضي الله عنه) وقال: (ثكلتك أمك وعدمتك يابن الخطاب ! استعمله رسول الله (ﷺ) وتأمرني أن انزعه !)[٤٢]

فنلاحظ هنا شدة أبي بكر (رضي الله عنه) على عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لأنه كان يريد عدم إرسال جيش أسامة تخوفا من هجوم المرتدين على المدينة، وانه من الأفضل أن يبقى الجيش أو أن يتولى آخر اكبر سنا من أسامة او اكثر خبرة منه، لكن أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) رفض ورد على عمر (رضي الله عنه) انه أمره رسول الله (ﷺ) وانه لايمكن أن يخالف أمره فعرف عمر (رضي الله عنه) الصواب.

كما أن الأمر الثاني الذي واجهه الصديق (رضي الله عنه) هو ارتداد القبائل العربية الذين دخلوا الإسلام حديثا. فأرسلوا الرسائل إلى أبي بكر (رضي الله عنه) بأنهم يقيمون الصلاة ولا يؤدون الزكاة، [٤٣] فقال أبو بكر (رضي الله عنه): (والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدنه لرسول الله لجاهدتهم عليه) [٤٤]، وقد كان رأي عمر (رضي الله عنه) أن لايقاتل هؤلاء ما داموا لم يقترفوا سوى امتناعهم عن دفع الزكاة، مستندا إلى قول الرسول (ﷺ): (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا اله إلا الله، وان محمدا رسول الله، فمن قالها يعصم مني ماله ودمه وحسابه على الله؟)[٤٥]. وإذا بابي بكر (رضي الله عنه) يجيبه بشدة وصرامة، بقوله: (والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فان الزكاة حق المال، وقد قال: إلا بحقهما)[٤٦]، فيقول عمر (رضي الله عنه): (فوا الله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت انه الحق)[٤٧].

اللين عند توليه الخلافة (رضي الله عنه)

تولى عمر بن الخطاب (ﷺ) الخلافة في جمادى الأخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة بعد عهد من الصديق (ﷺ) [٤٨]

وعلى الرغم من أن أبا بكر الصديق (ﷺ) قد عهد إليه بذلك، إلا انه وجد معارضة من بعض الصحابة (رضوان الله عليهم) وذلك لما به من شدة وغلظة يهابها الناس. فقد دخل على أبي بكر (ﷺ) طلحة بن عبدالله، [٤٩] فقال: (استخلفت على الناس عمر، وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه، فكيف به إذا خلا بهم وأنت لاق ربك فسالك عن رعيتك)[٥٠] فأجابه أبو بكر (ﷺ): (أبالله تخوفني، إذا لقيت ربي فسألني قلت: استخلفت على اهلك خير اهلك)[٥١].

لقد أعلن عمر (ﷺ) على الناس في خطبته ووضع فيها أهم المبادئ التي سوف يسير عليها في حكمه فقال: (بلغني أن الناس هابوا شدتي وخافوا غلظتي، وقالوا قد كان عمر يشتد علينا ورسول الله بين أظهرنا، ومن قال ذلك فقد صدق، فقد كنت مع رسول الله (ﷺ) فكنت عبده وخادمه، وكان من لا يبلغ احد صفته من اللين والرحمة، وكان كما قال الله تعالى: (بالمؤمنين رؤوفا رحيما)[٥٢] فكنت بين يديه سيفا مسلولا حتى يغمدني أو يدعني فامضي، فلم أزل مع رسول الله حتى توفاه الله، وهو عني راض، والحمد لله على ذلك كثيرا وأنا به اسعد..)[٥٣].

ومن هنا يتبين لنا لين وتسامح عمر (ﷺ) فانه على الرغم من علمه بان بعض الناس لا يرغبون به خليفة عليهم بسبب شدته فانه يتسامح معهم ويبدأ يوضح سبب شدته في زمن الرسول (ﷺ).

أما الفقرة الثانية من الخطبة فيقول: (ثم ولي أمر المسلمين أبو بكر، فكان من لا ينكرون وداعته وكرمه ولينه، فكنت خادمه وعونه، اخلط شدتي بلينه، فأكون سيفا مسلولا حتى يقعدني أو يدعني فامضي، فلم أزل معه كذلك حتى قبضه الله ﷻ وهو راض عني، والحمد لله على ذلك كثيرا وأنا به اسعد)[٥٤]. وقد قال أبو بكر (ﷺ) عن عمر (ﷺ) (... فرأيتني إذا غضبت على رجل في شيء أراني الرضا عنه وإذا لنت أراني الشدة عليه)[٥٥] ثم يقول عمر (ﷺ): (ثم اني قد وليت أموركم أيها الناس، فاعلموا أن الشدة قد أخضعت، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين. فأما أهل السلامة والدين

والقصد فانا الين لهم من بعضهم لبعض، ولست ادع أحدا يظلم احد أو يتعدى عليه حتى أضع خده على الأرض، واضع قدمي على الخد الأخر حتى يذعن بالحق، واني بعد شدتي تلك أضع خدي على الأرض لأهل العفاف والكفاف)[٥٦]

أما في هذه الفقرة من النص فيقول (ﷺ) أن الشدة التي هابها الناس ستتحول لهم لينا ورحمة وسيحقق لهم العدل ممن ظلم وتعدى على المسلمين فلن يجد سوى الشدة، أما أهل العفاف والكفاف فسيجدون من اللين والرحمة.

كما انه قد دعا من الله ﷻ عند توليه الخلافة، فقال: (اللهم إني شديد فليني، واني ضعيف فقوني، واني بخيل فسخني)[٥٧] كما وقال (ﷺ): (والله لقد لان قلبي في الله حتى لهو الين من الزبد)[٥٨].

وعند توليه الخلافة (ﷺ) كان المسلمون ينادونه بخليفة خليفة رسول الله فرأى إن هذا الاسم يطول على المسلمين ويشق عليهم واخبرهم بأنهم المؤمنون وهو أميرهم، الأمر الذي جعلهم ينادونه بأمير المؤمنين[٥٩]. فقد حاول أن يسهل على الناس حتى في التسمية إذ رأى أن خليفة خليفة رسول الله يطيل عليهم وسوف يصعب الأمر في ذلك بعد وفاته (ﷺ)، حيث سوف يدعى الخليفة الذي يليه بخليفة خليفة خليفة رسول الله وكذلك للخليفة من بعده، فكان لهذا العمل بُعدا أكثر من اللين والرحمة، من خلال نظرته الثاقبة وبصيرته النافذه التي نعجز أن نتصورها.

كان عمر (ﷺ) شديد الحرص على شؤون الرعية الأمر الذي دفعه إلى أن يقدم على السير في الرعية حولا ليقضي حوائجهم التي لاتقطع دونه، وذلك حرصا منه عليهم وخوفا من ان عماله لا يرفعون شكواهم إليه، والرعية لا تستطيع أن تصل إليه، فقسم الحول على الأمصار، وكل مصر يبقى فيه مده من الزمن لكي يقضي حوائج الناس.[٦٠] ويرفع عنه مشاق السفر اليه.

كان عمر بن الخطاب (ﷺ) يسير الليل بنفسه ويرتاد منازل المسلمين ويتفقد أحوالهم، وفي إحدى الليالي رأى طلحة (ﷺ) عمر (ﷺ) وهو يدخل احد البيوت، فلما أصبح طلحة بن عبد الله ذهب إلى ذلك البيت وإذا بعجوز عمياء مقعده، فسألها عن الرجل الذي يأتيها وهي لا تعرف انه عمر(ﷺ) فإجابته بأنه يعاهدها منذ زمن، فيرفع

عنها الأذى ويأتيها بما يصلحها، فقال طلحة: (ثكلتك أمك يا طلحة، أعثرات عمر تتبع؟!)[٦١]

كما انه (ﷺ) خرج مع اسلم [٦٢] إلى حرة واقم[٦٣] وإذا بنار نورت، فنادى عمر اسلم وطلب منه ان يتجهان إلى مكان الضوء، فخرجا مسرعين ودنو منهم، وإذا بامرأة مع صبيان لها، وقدر منصوب على النار، وكان الصغار يتصارخون، دنا عمر (ﷺ) منهم بعد ان القى التحية عليهم، وأستاذنا بالتقرب منهم وتحدث إليهم.[٦٤]سال عمر بن الخطاب (ﷺ) عن حالها، فإجابته: بأنهم قد أدركهم الليل والبرد، فسألها عن سبب صراخ الصبية، فتجيبه بأنه الجوع، فسألها ماذا يوجد في القدر، فتجيبه انه الماء، لتسكت به الصبية حتى يناموا، وبعد ذلك ينطلق لسانها وتقول: (الله بيننا وبين عمر!)[٦٥] وهي لاتعلم أنها تتكلم معه، فأجابها (ﷺ): (أي يرحمك الله، وما يدري عمر بكم؟)[٦٦] فإجابته: (يتولى امرنا ويغفل عنا !)[٦٧] وبعد هذا الكلام انطلق عمر (ﷺ) واسلم مسرعين إلى بيت الدقيق فاخرج عدل من كبة شحم فطلب عمر (ﷺ) من اسلم ان يجعله على ظهره فاستعظم ذلك اسلم وطلب من عمر (ﷺ) ان يحملها بدلا عنه وعمر (ﷺ) لا يجيب حتى قالها مرتين أو ثلاثة، فأجابه (ﷺ) (هل تحمل وزري يوم القيامة)[٦٨] الأمر الذي جعل اسلم يجعلها على ظهر عمر (ﷺ) وعادا مسرعين إلى المرأة وطلب منها (ﷺ) ان تذري عليه وهو يحرك، فجعل (ﷺ) ينفخ تحت النار حتى ان الدخان يتخلل لحيته، وعند نضوج الطعام قام عمر (ﷺ) بتفريغ الطعام حتى شبعوا.[٦٩] وهنا انطلق لسان المرأة مرة ثانية وقالت: (جزاك الله خيرا أنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين)[٧٠] وهي لا تعرف أنها تخاطبه. لم يكتف عمر (ﷺ) بهذا القدر، بل تنحى هو واسلم جانبا عن المرأة وهم يراقبانهم، حتى إذا رأى الصبية يتصارعون ويضحكون ثم ناموا، فقال عمر (ﷺ) بعد ان سأله اسلم عن سبب مراقبتهم وقد فعلوا ما فعلوا من إطعامهم فقال عمر (ﷺ): (يا اسلم ان الجوع أسهرهم وأبكاهم، فأحببت ألا انصرف حتى أرى مارايت منهم)[٧١].

نرى من هذا الموقف من اللين والرقة والتواضع وشدة الاهتمام والمسؤولية من الخليفة عمر (ﷺ) مايلي:

١. خروج الخلفية مع اسلم في الليل لحراسة المدينة وتفقدها.

٢. ذهاب الخليفة بنفسه إلى دار الدقيق وحمله وقيامه بصنع الطعام للأطفال و بمراقبتهم حتى شبعوا.

وقد قام الخليفة عمر (ﷺ) مع عبد الرحمن بن عوف بحراسة مجموعة من التجار، فبقيا ليلتهم يحرسان ويصليان، فإذا بالخليفة (ﷺ) يسمع بكاء صبي فتوجه إلى أمه فاخبرها ان تتقي الله وتحسن إلى صبيها، ثم عاد، فلم يلبث حتى سمع بكاء الصبي مرة ثانية فعاد إليها واخبرها بمثل ما قال أول مره، ثم عاد إلى مكانه، ثم سمع بكاءه مرة أخرى، فإذا به يعود ويقول لام الصبي بأنها امرأة سوء، مالي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة من البكاء،[٧٢] فإجابته: يا عبد الله إني اشغله عن الطعام فيأبى ذلك، فسألها عن سبب ذلك، فقالت: لان عمر لايفرض إلا للمفطوم فقال كم عمر ابنك؟ قالت: كذا وكذا شهرا، قال ويحك لا تعجليه على الفطام.[٧٣] فصلى الفجر وغلب عليه البكاء، فقال: (بؤسا لعمر، كم قتل من أولاد المسلمين)[٧٤]. ثم أمر مناديا ان لا تعجلوا صبيانكم على الفطام، فانا نفرض لكل مولود في الإسلام.[٧٥] كما أمر ان تكون نفقات أولاد اللقط ورضاعتهم من بيت المال.[٧٦]

خرج عمر (ﷺ) مع اسلم إلى ظاهر المدينة فلاح له بيت شعر فقصده،[٧٧] فإذا بامرأة تمخض وتبكي، فسألها عمر (ﷺ) عن حالها، فإذا بها تشتكي حالها،وليس عندها شيء،[٧٨] فبكى عمر (ﷺ)، ورجع إلى بيته فاخبر زوجته أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب (رضي الله عنها وعن أبيها) فطلب منها مساعدتها فإجابته. فاخذ عمر (ﷺ) معه الدقيق والشحم، وحملت أم كلثوم ما يصلح للولادة، فرجعوا إليهم،[٧٩]

دخلت أم كلثوم على المرأة وجلس عمر (ﷺ) مع زوجها وهو يحدثه ولا يعرفه فوضعت المرأة غلاما، فقالت أم كلثوم: يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام، فلما سمع الرجل قولها استعظم ذلك واخذ يعتذر إلى عمر (ﷺ) فأجابه: لا باس عليك ثم أمر بنفقة وما يصلحهم وانصرف.[٨٠]

وبينما عمر (ﷺ) على المنبر قال: (انشد الله لا يعلم احد في عيبا إلا عابه)[٨١] وإذا برجل من المسلمين يقوم ويقول نعم فيك عيب، فسأله عمر (ﷺ)، فيجيبه ان له قميصين يبدل بهما والناس لايسعها ذلك،[٨٢] فخطب عمر (ﷺ) وهو خليفة وعليه إزار

فيه أثنى عشر رقعة، بعد ذلك[٨٣] كما ابطا على الناس يوم الجمعة واعتذر منهم واخبرهم ان الذي أخره عليهم غسل ثوبه فكان يغسل وليس له غيره.[٨٤] وان حفصة (رضي الله عنها) طلبت من أبيها ان يلبس ثوب جديدا ويأكل طعاما أفضل من الطعام الذي يأكله، فان الله قد أوسع بالرزق، والخير قد كثر،[٨٥] فإذا به يذكرها ما كان عليه رسول الله (ﷺ) من شدة في العيش فظل يذكرها حتى جعلها تبكي، فقال (والله ان قلت ذلك أما والله لئن استطعت لأشاركها بمثل عيشهما، لعلي أدرك معهما عيشهما الرخي)[٨٦] ويقصد هنا ان يشارك الرسول (ﷺ) وأبا بكر (ﷺ) في مقامهم في الجنة.

كان بين عمر (ﷺ) وبين رجل كلام فقال له الرجل: (اتق الله يا أمير المؤمنين)[٨٧] فإذا برجل أخر من القوم يقول: أتقول لأمير المؤمنين اتق الله، فرد عليه عمر (ﷺ): (دعه فليقلها لي، نعم ما قال، لاخير فيكم أذا لم تقولوها ولاخير فينا إذا لم نقبلها منكم)[٨٨].

وهنا يرى الخليفة (ﷺ) حق الرعية في تقويمه وانتقاده، ويمنحهم هذا الحق جهارا.

وقد عرف عن عمر(ﷺ) اهتمامه بالبيت والعائلة وخاصة الزوجة، إذ كان يغيب عنها زوجها المقاتل أو المرابط في الثغور الإسلامية، فبعد ان خرج ذات ليلة يطوف بالمدينة، فإذا به يسمع امرأة عربية تنشد بعضا من أبيات الشعر تشكو فيها غياب زوجها في إحدى الثغور الإسلامية، فرق قلبه لقولها، فأرسل إلى عماله بان لا يغيب من الجنود في الغزو أكثر من أربعة أشهر.[٨٩]

اللين مع سكان المناطق المفتوحة

لقد كان للخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) سياسته الخاصة التي يتعامل بها مع سكان المناطق المفتوحة، فقد كان يوصي قادته بإتباعها، ومن خلال دراستنا لتلك السياسة نرى جانب اللين والتسامح من جانب الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) اتجاه سكان المناطق المفتوحة.

لقد عمل عمر (ﷺ) بعد توليه الخلافة بإرسال احد رسله إلى اليمن وأمره بإجلاء أهل نجران، وقال: (ائتهم ولا تفتنهم عن دينهم، ثم اجلهم، من أقام على دينه، واقر

المسلم، وامسح ارض كل من تجلى منهم، ثم خيرهم البلدان، وأعلمهم أنا نجليهم بأمر الله ورسوله، ألا يترك بجزيرة العرب دينان، فليخرجوامن أقام على دينه منهم، ثم نعطهم أرضا كأرضهم، إقرارا لهم بالحق على أنفسنا، ووفاء بذمتهم فيما أمر الله من ذلك).[٩٠]

نجد من وصية عمر (ﷺ) ما ياتي:

١. اللين والرحمة والتسامح مع سكان أهل نجران.
٢. العدل من خلال إعطاء الخليفة أهل نجران أرضا كأرضهم.
٣. مبدأ الحرية من خلال إعطاء أهل نجران حرية في البقاء على دينهم أو الدخول في الإسلام وكذلك حرية اختيار البلد الذي يرغبون.
٤. لم يجلِ الخليفة عمر (ﷺ) أهل نجران إلا تنفيذا منه لأوامر الرسول (ﷺ).

وقام عمر (رضي الله عنه) برد سبايا أهل الردة إلى عشائرهم وقال: (إني كرهت ان يصير السبي سنة على العرب)[٩١].

وعندما قدم عمر (ﷺ) إلى الجابية سنة ١٥ هـ وجاءت إليه الرسل من أهل القدس يطلبون الأمان بعد ان طال عليهم الحصار، فصالحهم وكتب لهم الصلح: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان، أعطاهم أمانا لانفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، ان لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينقص منها ولا حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار احد منهم، ولا يسكن بايلياء معهم احد من اليهود، وعلى أهل ايلياء ان يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن.....)[٩٢]

ان المعاملة الباهرة من قبل الخليفة عمر (ﷺ) تجاه أهل القدس من لين وعدل ووفاء، إذا ما قورنت عند استيلاء الصليبيين عليها، يتبين الفرق العظيم بينهما.[٩٣]

وفي سنة ١٦ هـ عند دخول المسلمين مدينة بهرسير،[٩٤] كتب سعد بن أبي وقاص (ﷺ) إلى الخليفة عمر (ﷺ) واخبره بان لم يات احد لقتال المسلمين، وانه بث الخيول في المنطقة وان الفلاحين يقيمون في القرى، فا جابه عمر (ﷺ): اعط الأمان لأهل المدينة واترك من هرب من الأعداء وعدم ملاحقتهم من خلال قوله لسعد (ﷺ):

(ان من أتاكم من الفلاحين إذا كانوا مقيمين لم يعينوا عليكم فهو أمانكم، ومن هرب فادركتموه فشانكم إليه)[٩٥]

كما أوصى الخليفة عمر (ﷺ) سعد بن أبي وقاص (ﷺ) بعد ان أمره بالرحيل من زرود[٩٦] إلى العراق استعدادا لخوض المعركة مع الفرس، بالتأكيد على حرمة أهل الصلح ولزوم الوفاء لهم، والتعامل بالرفق، وان لا يتم ظلم أهل الصلح على أساس النصر على أهل الحرب من خلال قوله: (فان لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها، فما صبروا لكم فتولوهم خيرا، ولا تبطروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح)[٩٧]

وعند عودة عمر (ﷺ) من بلاد الشام راجعا إلى المدينة وخلال الطريق مر على قوم يعذبون في الخراج، فقال (ﷺ): (دعوهم لا تعذبوهم، فاني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: (ان الذين يعذبون الناس في الدنيا يعذبهم الله في الآخرة، يوم القيامة)، فأرسل إليهم فخلى سبيلهم.[٩٨]

إن الخليفة عمر (ﷺ) كان شديد الحرص على أن يطبق سنة النبي (ﷺ) ونرى مدى رحمته وعطفه على الناس وقد منع من تعذيبهم وأمر بإخلاء سبيلهم.

لينه عند استشهاده

حين طعن الخليفة عمر (ﷺ) على يد أبي لؤلؤة،[٩٩] طلب الخليفة من ابنه عبد الله ان يعرف الذي طعنه فلما اخبره وعرفه قال: (الحمد لله الذي لم يجعل قتلي بيد رجل يحاجني بلا اله إلا الله).[١٠٠]

وخلاصة القول. كان إسلام عمر (ﷺ) فتحا، وكانت هجرته نصرا، وكانت أمارته رحمة.[١٠١]

هوامش البحث

١. الزبيدي، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب، نسب قريش، صححه وعلق عليه، ا. ليفي بروفنسال، ط٣، دار المعارف، ب.ت،١/٣٤٦-٣٤٧.

٢. الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، سير اعلام النبلاء، حققه وخرج أحاديثه، خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، ب.ت، ٤٥٥/٢.
٣. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري، الطبقات الكبرى، تحقيق الدكتور، علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠١م، ٢٤٦/٣.
٤. المصدر نفسه،٢٤٧/٣.
٥. ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، السيرة النبوية، دار الفجر للتراث، القاهرة، ٢٠٠٤م، ٢٢٠/١.
٦. ابن سعد، الطبقات،٢٤٨/٣.
٧. الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحرين محبوب البصري، البيان والتبيين، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٨،١٦٤/١.
٨. الزبيدي، نسب قريش، ٣٤٧/١.
٩. ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي الصفدي، تاريخ خليفة بن خياط، ضبطه وصححه، الدكتور مصطفى نجيب فواز، والدكتور حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م، ١٤.
١٠. ابن عبد ربه، أبو عمر احمد بن محمد الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق، احمد أمين واخرون، القاهرة، ١٩٥٢م، ٣١٤/٣.
١١. ابن سعد، الطبقات، ٢٦٦/٣.
١٢. ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٦٢/١.
١٣. ينظر ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني، السيرة النبوية، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: احمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م، ٢٢٠/١.
١٤. وهو عامر بن ربيعة بن مالك، حليف بني عدي ومواليهم، وكان حليفا للخطاب بن نفيل، وكان الخطاب قد تبناه، فيقال عامر بن الخطاب، حتى نزل القران (وادعوهم لإبائهم) سورة الأحزاب، آية ٥، رجع عامر إلى نسبه، فقيل عامر بن ربيعة،وكان من المسلمين الأوائل، هاجر هو وزوجته، ليلى بنت أبي حتمه

العدوي، إلى ارض الحبشة، وشهد المشاهد كلها مع الرسول (ﷺ) ومات بعد خلافة عثمان (ﷺ). للمزيد من المعلومات.ينظر.ابن سعد، الطبقات،٣/٣٥٩-٣٦٠.

١٥. ابن هشام، السيرة النبوية، ١/٢٢٠.

١٦. ابن إسحاق، السيرة النبوية، ١/٢٢٠.

١٧. ابن هشام، السيرة النبوية، ١/٢٢٠.

١٨. المصدر نفسه، ١/٢٢٠.

١٩. ابن سعد، الطبقات، ٣/٢٥٠.

٢٠. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، ط٤، تحقيق، محمد أبي الفضل، دار المعارف، القاهرة، ب.ت، ٤/٢٠٠.

٢١. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي، دار الفكر، ١٣٩٨ هـ،٥/٦١٧.

٢٢. ابن الجوزي، أبو فرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تحقيق، زينب إبراهيم الفاروط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ب.ت، ١٧.

٢٣. نعيم بن عبد الله المجمر مولى عمر بن الخطاب (ﷺ)، ابن سعد، الطبقات، ٧/٣٠٤.

٢٤. ابن سعد، الطبقات، ٣/٢٤٨.

٢٥. ختنه، الختن معناه زوج الأخت. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن احمد الأنصاري، لسان العرب، إعداد وتصنيف، يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، ب.ت، ١/٧٩١.

٢٦. خباب بن الإرث ابن جندله بن سعد بن خزعه بن كعب، من بني سعد بن زيد مناة بن تميم. للمزيد من المعلومات: ينظر ابن سعد، الطبقات، ٣/١٥١ وما بعدها.

٢٧. ابن هشام، السيرة النبوية، ١/٢٢١.

٢٨. ابن سعد، الطبقات، ٢٤٨/٣.
٢٩. ابن الجوزي، مناقب أمير المؤمنين، ١٦.
٣٠. سورة طه، ايه١-٨.
٣١. للمزيد من المعلومات ينظر، ابن إسحاق، السيرة النبوية، ٢٢٣/١.
٣٢. ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني/سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ب، ٥٥/١.
٣٣. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق، محمد إبراهيم البنا واخرين، دار الشعب -مصر-١٩٧٠، ١٦٧/٤.
٣٤. الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، المغازي،ط٢، تحقيق، مارسدن جوش، عالم الكتب -بيروت- ١٩٨٤، ١٥٠/١.
٣٥. حاطب بن أبي بلتعة، واسم ابي بلتعه هوعمرو بن عمير بن سلحه، من بني خالفه بطن من لخم، شهد بدرا والحديبية، وتوفي سنة٣٠هـ، ابن الأثير، أسد الغابة، ٣١/١.
٣٦. الطبري، تاريخ، ٤٩/٣.
٣٧. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، كتاب الحدائق في علم الحديث والزهديات، دار الكتب العلمية -بيروت- لبنان -١٤٠٨هـ -١٩٨٨م، ٣٠٥ ومابعدها.
٣٨. ابن الأثير، أسد الغابة، ٤٣٢/١.
٣٩. ابن ماجه، سنن، ٥٥/١.
٤٠. الطبري، تاريخ، ٢٢٨/٣.
٤١. الواقدي، المغازي، ١٢١/٣.
٤٢. الطبري، تارخ، ٢٤٤/٣.
٤٣. ابن الأثير، البداية والنهاية، ط٦، مكتب المعارف، بيروت، ٩٨٨م، ١٣٤/٧.
٤٤. النووي، أبو زكي يحيى بن شرف، الأربعين النووية، قدم له، علي عبد العال الطهطاوي، مكتبة الصفا، ب.ت، ٢٧.

٤٥. الطبري، تارخ، ٢٤٥/٣.
٤٦. المصدر نفسه، ٤٥/٣.
٤٧. ابن سعد، الطبقات، ٢٧٤/٣.
٤٨. طلحة بن عبيد الله بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة، للمزيد من المعلومات ينظر، ابن سعد، الطبقات، ١٩٦/٣ وما بعدها.
٤٩. الطبري، تاريخ، ٤٣٣/٣،
٥٠. ابن سعد، الطبقات، ١٨٣/٣، ابن الأثير، أسد الغابة، ١٧٦/٤.
٥١. سورة التوبة، آية ١٢٨.
٥٢. الكاندهلوي، محمد يوسف حياة الصحابة، ط٥، تحقيق، فايق عباس ومحمد علي دولة، دار القلم –دمشق– ١٩٨٧م، ٢، ٣٨.
٥٣. المرجع نفسه، ٢، ٣٨.
٥٤. الطبري، تاريخ، ٣/ ٢٥٥.
٥٥. الكاندهلوي، حياة الصحابة، ٢، ٣٨.
٥٦. ابن سعد، الطبقات،٣ /٢٥٥.
٥٧. الأصفهاني، أبو نعيم احمد بن عبد الله، حليه الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م، ٥١/١.
٥٨. ابن اعثم، أبي محمد احمد الكوفي، الفتوح، دار الندوة، بيروت، ب.ت، ١٥٧/١.
٥٩. الطبري، تاريخ، ٢٠٢/٤.
٦٠. الأصفهاني، حلية الأولياء، ١، ٤٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣٥/٧.
٦١. اسلم بن اوس ابن بجره بن الحارث بن غسان بن طريف بن سعده. ابن سعد، الطبقات، ٣٦٩/٣.
٦٢. حرة واقم، احدى حرتي المدينة،وهي الشرقية، سميت برجل من العماليق اسمه واقم، وكان قد نزل في الدهر الاول، واقع اسمه اطم من اطام المدينة إليه تضاف الحرة. ينظر، ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ب.ت، ٢٤٩/٢.

٦٣. الطبري، تاريخ، ٤٠٥/٤.
٦٤. ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣٦/٧.
٦٥. المصدر نفسه، ١٣٦/٧.
٦٦. الطبري، تاريخ، ٢/٤-٥.
٦٧. ابن كثير، البداية والنهاية، ٧ /١٣٦.
٦٨. الطبري، تاريخ، ٢٠٦/٤.
٦٩. المصدر نفسه، ٢٠٦/٤.
٧٠. ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣٦/٧.
٧١. ابن الجوزي، صفة الصفوه، تحقيق، أيمن صالح شعبان، المكتبة التوفيقية – مصر، ب.ت، ١١١/١.
٧٢. المصدر نفسه، ١١٢/١.
٧٣. المصدر نفسه، ١١٢/١.
٧٤. المصدر نفسه، ١١٢/١.
٧٥. ابن سعد، الطبقات، ٢٧٨/٣.
٧٦. ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣٦/٧.
٧٧. المصدر نفسه، ١٣٧/٧.
٧٨. المصدر نفسه، ١٣٧/٧.
٧٩. المصدر نفسه، ١٣٧/٧.
٨٠. ابن الجوزي، مناقب أمير المؤمنين عمر، ١٥٤.
٨١. المصدر نفسه، ١٥٤.
٨٢. المصدر نفسه، ١٥٤
٨٣. ابن سعد، الطبقات، ٣، ٣٢٩.
٨٤. ابن الجوزي، صفة الصفوه، ١١٢/١.
٨٥. المصدر نفسه، ١١٢/١.
٨٦. ابن الجوزي، مناقب أمير المؤمنين عمر، ١٥٥.

٨٧. المصدر نفسه، ١٥٥.
٨٨. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة منير –بغداد–١٩٥٢م، ١٣٩.
٨٩. الطبري، تاريخ، ٤٤٦/٣.
٩٠. اليعقوبي، تاريخ، ٩٥/٢.
٩١. الطبري، تاريخ، ٦٠٩/٣.
٩٢. الخضري محمد بك، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، ط٣، ب.ت، ٩/٢.
٩٣. بهرسير، وهي مدينة تقع غربي دجلة، وهي إحدى المدائن السبع التي سميت بها المدائن، ينظر ياقوت، معجم البلدان، ٤٠٥/١.
٩٤. الطبري، تاريخ، ٥/٤.
٩٥. زرود: وهي رمال بين الثعلبية والخزيمة بطريق الحاج من الكوفة، وسميت زرود لابتلاعها الماء. ينظر ياقوت، معجم البلدان، ١٣٩/٣.
٩٦. ابن عبد ربه، العقد الفريد،٩٣/١.
٩٧. الواقدي، فتوح الشام، تحقيق هاني الحاج، المكتبة التوفيقية –مصر– ب.ت، ٣٢٩/١.
٩٨. أبو لؤلؤة كان غلام المغيرة بن شعبة، وكان مجوسيا من أهل نهاوند. المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق قاسم الشماعي الرفاعي، دار القلم –بيروت– ١٩٨٩م، ٣٢٨/٢.
٩٩. الأصفهاني، حليه الأولياء، ٥٣/١.
١٠٠. ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٢٠/١.